

بداية تاريخ العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية التي تنتظم اليوم فيما يُسمَّى بـ «المجموعات الأوروبية»

عبد الهادي التازي

«ذلك أن المغرب قريبٌ جغرافياً من أوروبا، وقد نسج التاريخ بينه وبينها طوال قرون عديدة صلاتٍ بلغت من العمق درجةً جعلت حضارتهما تتداخل أقوى ما يكون التداخل، وأبانت في مناسبات عديدة عن وحدة المصير التي تجمعهما.»

من خطاب لجلالة الملك الحسن الثاني إلى
السيد رئيس مجلس المجموعات الأوروبية
يوم الأربعاء 11 ذي القعدة 1407 =
8 يولييه 1987.

يتأكد أن العلاقات بين المملكة المغربية وبين الممالك والجمهوريات الأوروبية عرفت طريقها منذ تاريخ جد مبكر، ويرجع السبب الرئيسي لهذا التعارف إلى الموقع الجغرافي الذي يمتاز به المغرب الذي لا يفصله عن القارة سوى بضعة أميال ! والذي يتميز بأنه النافذة الأقرب للقارة الإفريقية والمغرب العربي على القارة الأوروبية، وبأنه المحطة الوحيدة التي تجمع، على مسافة شاسعة بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط... ذلك الموقع الجغرافي الذي نجده وراء الزيارات العديدة التي قام بها عددٌ من أمراء وقادة أوروبا لديار المغرب من سائحين وسياسيين

ودبلوماسيين على مرّ العصور... كانت وراء العلاقات الإنسانية التي سجّلها التاريخ بين المنتسبين لتلك القارة والمنتسبين لهذه... حيث نقرأ منذ التاريخ المبكر عن سيدة أوروبية مثلاً أمست خالة لأحمد!!.. وعن مواطن مغربي غدا عما لمارية!! ومن هنا لم يكن غريباً علينا أن نجد الوثائق المغربية والأوروبية كذلك تتحدث عن صلات المغرب مع دُول أوروبا جميعها⁽¹⁾.. على الأقلّ منذ عهد الامبراطور شارلماني (ChArLEMAGNE)، وبالذات في بداية القرن التاسع الميلادي، حوالي سنة 184 من التاريخ الهجري.

إن هناك فقرةً من الحوليات الملكية (Annales Royales)⁽²⁾ لسنة 801 تشير إلى أنه في الوقت الذي كانت توجد فيه بالبلاط الأمبراطوري لشارلماني سفارة الخليفة هارون الرشيد، كان يوجد أيضاً مبعوث من الأمير إبراهيم ورد من أقصى إفريقيا، في إمارة فوساطوم (Fossatum).

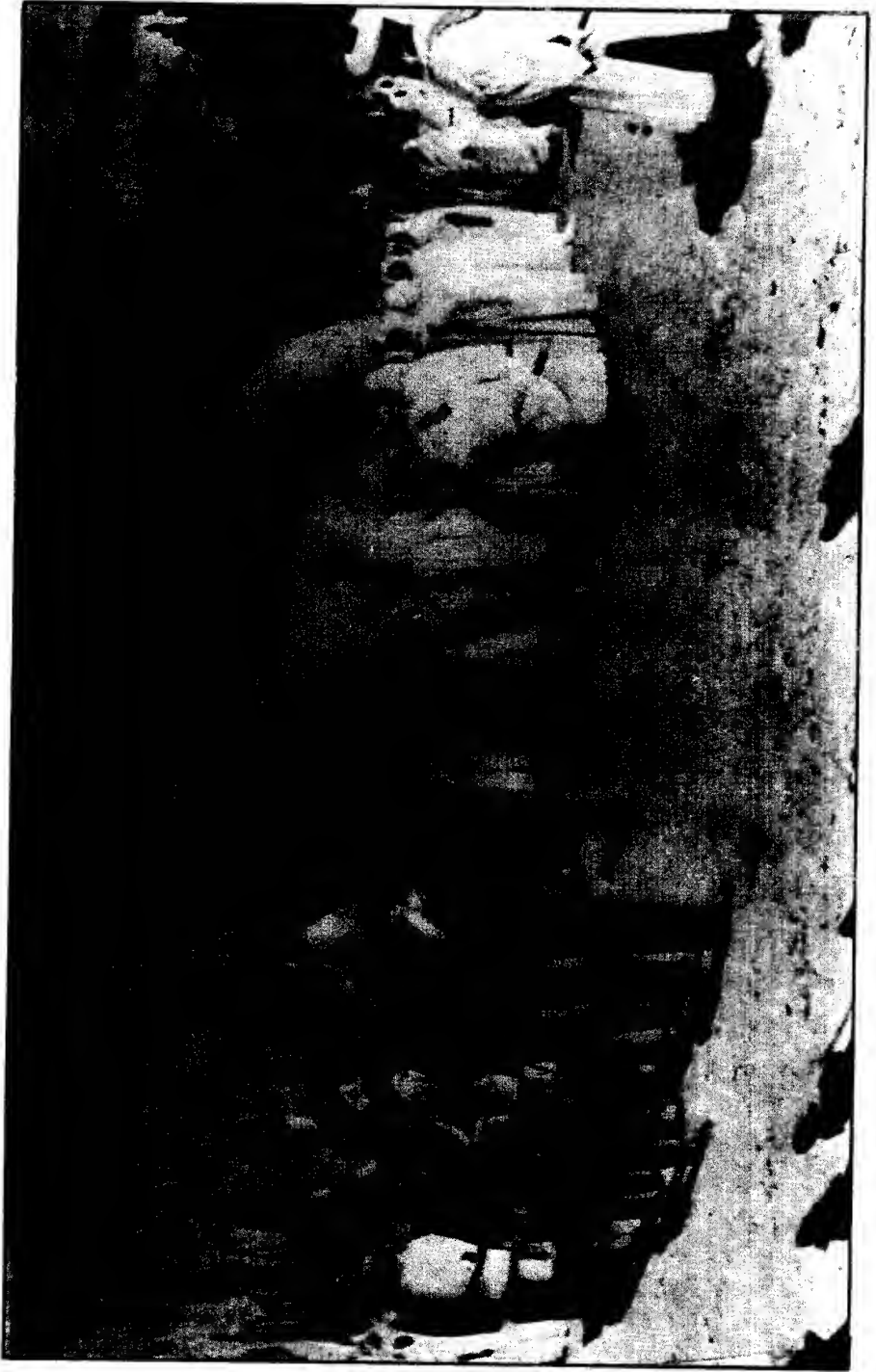
هناك بعض المؤرخين من أمثال كويزو (Guizot) وبيرتز (Pertz) وشارلز دولارونسيير (Ch. de Loroncière) يرون أن في الإستطاعة ترجمة كلمة فوساطو بعبارة فاس... وهكذا انتهوا إلى أن القصد إلى بعثة واردة من أمير الأدارسة... ويظهر لي أنه كانت هناك للأدارسة الأولين طموحات للإتصال بما وراء حدود مملكتهم على ذلك العهد... ولعلّ القصد بإبراهيم إلى شخص كان يحمل هذا الاسم وعهد إليه بمهمة الإتصال بشارلماني عن الأدارسة... ويبدو أخيراً أن القصد من كلمة فوساطوم إلى فاس ونحن نعلم أنها، أي فاس، كانت تعرف آنذاك بدار القيطون أي دار الفُسْطَاط حيث كان يقيم الإمام إدريس في انتظار تجهيز العاصمة...

ولا يمكن للمهتمّ بمركز المغرب في تاريخ المجموعة الأوروبية أن لا يستوقفه وثيقة

(1) «ينبغي أن نعيد للذاكرة أن المغرب كان جزءاً من الامبراطورية الرومانية في وقت من الأوقات، وقد غدا حصناً للرومان للدفاع عن إمبراطوريتهم» من خطاب السيد عبد السلام زينند سفير المغرب بلندن في ملتقى 25 نونبر 1988 حول العلاقات المغربية الأوروبية

(2) GHOVIN (Gisèle) : Aperçu sur les relations de la France avec Le Maroc des origines à la fin du Moyen Age. Hesp. 1957, TXLIV, 3^e 4^e Tr. p.p 249 - 298

د. التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»، ج 4، ر 6، مطبعة (فضالة) 1406 = 1986



استقبال السفارة الألمانية بفاس من لدن الملك الحسن الأول 1307 = 1890.

فريدة يحتضنها أرشيف الدولة في جنوة (إيطاليا) التي نعرف عن تفوقها البحري مع جمهورية بيزة في الربع الثاني من القرن الثاني عشر.

هذه الوثيقة التي تحمل تاريخ $1138 = 532$ أي أيام أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين...

ويتعلق الأمر باتفاقية دفاعية هجومية أبرمتها مرسيليا مع جمهورية جنوة لمدة عشر سنوات، وقد التزمت مرسيليا بمقتضى الاتفاقية المذكورة أمام الجمهورية بمراعاة السلام بالنسبة للمملكة المغربية، كما أنها أي مرسيليا التزمت بمنع قراصنتها المسلحين من مهاجمة المغاربة، وقد اشترط المرسيليون لهذا أن تحصل لهم جنوة — باعتبارها حليفة للمغرب — على عقد معاهدة سلام مع ملك المغرب أو تعيدهم بالدفاع عنهم ضد هجماته فيما يتجاوز السنوات العشر، وبتعويضهم عن جميع الأضرار التي قد تلحقهم ابتداءً من الفترة المذكورة.

وَلَمْ يَنْجَبُوا بِلَادَ الْمُؤْمِنِينَ عَزَمَ اللَّهُ عَلَى عَائِدَتِهِمْ وَفَخَرُوا مِنَ الْعَقْلِ
وَالْهَيَاةِ عَلَى دِينِهِمْ وَنَفَعُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِذَلِكَ أَهْمُ وَالنَّسَبُ بِمَكْرُوهِ الْيَمِينِ
وَأَنَّ الْقِيَمَةَ فِي الْبَحْرِ سَاهِلِ الْمُؤْمِنِينَ نَصَرَهُمُ اللَّهُ فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى تَعْرِضِهِمْ وَلَا
إِلَى إِذَا بَنِيهِمْ فِي تَدْوِينِهِمْ وَلَا أَمْوَالِهِمْ وَلَا دِينَهُمْ وَثَوْنَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَقَلْبَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ لَا خَلَامَ سَلَامِهِمْ وَهَدَنَتِهِمْ بِغُلَامِهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ الْمَقْرَرَةُ وَالْفَصُولُ الْمَقْرَرَةُ
أَنْتَظِمَتْ هَذِهِ الْمَهَادَنَةُ وَبِغُلَامِهِمْ هَذَا الْكِتَابُ خَمْسَ سِنِينَ بِمَكْرُوهِ مِنْهَا وَاحِدَةٌ فِي
بَلَدِهِمْ وَيَسْتَظْهِرُونَ بِبَاقِيَةِ بِلَادِ الْمُنَادِينَ لَهُمْ بِغُلَامِهِمْ الْوَصُولُ الْيَمِينُ تَوْسَعُهُ
عَلَيْهِمْ فَأَكْمَلُوا لَلْمُنَّةِ لَدُنْهُمْ وَكُتِبَ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْمُعْظَمِ عَامِ ثَمَانِ مِائَتَيْنِ
خَمْسَ مِائَةٍ

جانب من الاتفاقية المغربية مع جمهورية بيزة على عهد الموحدين رمضان 582 = نونبر 1186 يلتزم فيها المغرب بحماية السفن التجارية الأوروبية «وفاء بدمتهم وامضاء = لأحكام سلمهم...».

وقد أخذت على عاتقها مدينة هيير (Hyères) و فريجيس (Fréjus) وأنتيب (Antibes) وسائر المدن البحرية للإقليم، نفس الالتزام إزاء جنوة باحترام أشخاص وممتلكات الرعايا المغاربة وبحمل قراصنتهم على التعهد بنفس ماتعهدت به مرسيليا إزاء المملكة المغربية

إن المرء عندما تقدّم له هذه الوثيقة الصغيرة في حجمها من لدن محافظ الأرشيف ربما لايعيرها انتباهاً لكنه لايلبث وهو يستعرض أبعادها أن يدرك جيداً حجم المغرب وحجم العلاقات التي كانت تربط بينه وبين أوروبا ويدرك بالتالي دور المغرب في بسط السلام في حوض البحر المتوسط⁽³⁾.

وهل نغادر جنوة دون أن نسمع أن أحد الجنوبيين عهد إليه في البلاط المغربي بالقيام بوظيفة كاتب الدولة في الشؤون الخارجية على نحو ما قرأنا عن أحد الفرنسيين الذين كانوا يقومون بنفس الدور على عهد الملك محمد الثالث من الدولة العلوية ؟

* * *

ويعتبر الملف المغربي الإنجليزي من أقدم الملفات وأغناها وأكثرها تنوعاً وإطرافاً... وها نحن مع حدث يعتبر من أروع الأحداث التي تُروى اليوم وكأنّها ضرب من الخيال والإفتراس !

حديث تمّ في العصور الوسطى بالذات أثناء سنة 604 للهجرة الموافق لسنة 1208 للميلاد، لقد تولّى الحديث عن هذه السفارة الإنجليزية الأسقف ماثيو باريس (Mathew PARIS) مؤرخ دير القديس ألبانس (ALBANS) الذي عاش في القرن الثالث عشر ونشر الحديث عنها — فيما بعد — أحد رهبان الدير روجي فاندوفير (Roger of Wendover).

(3) M.L.De Mas-Latrie : Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de L'Afrique septentrionale au Moyen Age. Paris, 1866 Préface P. 37, Docum. P. 88 - Relations... P. 70

Gésèle Chovin : Les relations de la France avec le Maroc. Hesp. 1957 P- 266-267

د. التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» ج 2، 193 — 194 ج 5 ص 222 — 223
1406 = 1986 مطبعة فضالة — المحمدية — المملكة المغربية.

وفي أوائل الستينات تقدم المستشرق البريطاني الراحل نيفيل باربور (N. BARBOUR) يبحث حول هذا الموضوع إلى المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين الذي انعقد بموسكو بعنوان: (4)

(The Embassy sent by king John of England to Mirammelinus King of Morrocco)

واستناداً إلى المصادر البريطانية فإن أعضاء السفارة لما وصلوا استقبلوا بما يستقبل به كبار الرسل، وإنهم أدلوا برسائل اعتمادهم وشرحوا للخليفة الموحي بواعث الزيارة، ثم رفعوا إليه خطاب الملك جوهن، وكان الذي يساعد على التفاهم الجانبين المغربي والانجليزي ترجمان أحضر على الفور.

لقد سأل العاهل المرحدي عن ملك أنجلترا وعن مملكته، وقد كان الذي تصدى للجواب هو الفارس توماس باعتباره أقدر المبعوثين على تناول الخطاب... وبعد تبادل أطراف الحديث بين الجانبين سلم الملك الناصر إلى سكرتير البعثة عدداً من الهدايا الثمينة من الذهب والفضة ومختلف أنواع المجوهرات والأقمشة الحريرية.

وقد وردت في المصادر المغربية (5) إفادات عن سفارة مسيحية وردت قريباً من هذا التاريخ على العاهل المغربي الناصر يعتقد بعض المؤرخين أنها إشارة إلى سفارة الملك جوهن.

ومن المهم أن نسمع جلالة الملكة إليزابيث الثانية تتحدث عن هذه السفارة، في كلمتها جواباً على خطاب جلالة الملك أمام الملك الحسن الثاني بمناسبة زيارتها للمغرب في 27 أكتوبر 1980 = 17 ذي الحجة 1400:

(4) Roger of Wendover's Flowers of History (trans. by J.A.Giles. London 1849 vol II p. 283. P. G. Rogers : A History of Anglo-Moroccan Relations to 1900 London : Foreign and commonwealth office P. 1-5.

ع. التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» ج 6، 1407 = 1987 ص 267 وما بعدها.

(5) ابن أبي زرع : «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب ومدينة فاس»، مطبعة الأزرق الحجرية 1303 = 1886 ص 168.

«... علينا — تقول الملكة إليزابيث الثانية — ألا نظنّ بأننا غرباء عن بعضنا البعض، إن أول تبادل بين حاكمي بلدنا جرى بعد مرور بضعة سنوات فقط من تشييد صومعة حسان العظيمة وذلك حينما التجأ جون ملك بريطانيا للسلطان محمد الناصر يطلب المساعدة...»

وقد بقينا على صلةٍ مستمرةً باليونان عبر تاريخنا الثقافي الطويل ومن هنا قرأنا لعبد الواحد المراكشي في كتابه (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) عند حديثه عن الخليفة إلى يعقوب يوسف أنه، أي الخليفة، كان يذكر في مجالسه العالمية التي كان يحضرها أبو بكر محمد بن طفيل ما قاله أرسطو طاليس وأفلاطون ويقارنه بما قاله أهل الملة الإسلامية... وكان أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو أو عبارة المترجمين عنه.

وأذكر بهذه المناسبة أن الرئيس السابق لجمهورية اليونان قسطنطين د. تساطسوس (TSATSOS) بمناسبة استقباله عضواً في أكاديمية المملكة المغربية في دورتها المنعقدة بفاس 25 نونبر 1980 أشار إلى علاقات المغرب القديمة باليونان، وذكر على الخصوص: «... وفي سنة 604 = 1170⁽⁶⁾ أُرست سفينة حربية بميناء سبته تحمل شعار الأباطورية البيزنطية، حيث شاهد عمال الميناء شخصية يظهر أنها جدّ مهمة، يرتدي لباساً فخماً ذا أبهة عظيمة ويحمل قلادة حمراء رفيعة الشأن إنما يحملها كبار رجالات الدولة لاتييس ثرافيس (Latus CLAVUS) وقد كان السفير مصحوباً بحاشية كبيرة.

لقد كان سفيراً من لدن مانويل كومنين الأول (Manuel commène) أمبراطور الرومان وهو، أي السفير، يحمل إسم ميشيل دانكيالوص (Michel

(6) أعتقد أن أنسب تاريخ لهذه السفارة هو عام 576 = 1180 عندما حلّ الخليفة بفاس في أعقاب حركته الظافرة في إفريقية حيث ورد عليه سفير الروم... وهو ما كان موضوع مكاتباتي مع الزميل الراحل تساطسوس.. ع. التازي: «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» ج 6، ص 278.

عن خطاب السيد عبد العزيز اللعبي سفير المغرب لدى اليونان عن تقديم أوراق اعتماده للسيد كريستوس سارطزيطاكيس رئيس الجمهورية اليونانية بتاريخ 2 يبراير 1989.



صورة ملك بريطانيا جون.

(DANGHIALOS) وقد توجه السفير إلى مدينة فاس حيث كان يقيم الأمير أبو يعقوب يوسف...

في القاعة الكبرى للعرش تلا السفير البيزنطي — باللغة اليونانية — نص الرسالة التي كان ينقلها إلى اللغة العربية ترجمان من أصل سوري كان له اطلاع على شؤون الاغريق ولغتهم.

لقد كان ممّا ورد في خطاب الامبراطور للخليفة الموحيدي :

إن حبكم للعلوم وبخاصة حاكم لسائر الذين يعتنون بتلك العلوم أمر معروف عندنا... وان تسامحكم وبعده نظركم وترفعكم عن التعصب، كل تلك المزايا التي تتمتعون بها تقوي فينا مشاعر التقدير والإعجاب بكم وبشعبكم وكبار العلماء من أطباء ورياضيين وفلاسفة من الذين يعيشون بين ظهرانيكم وفي بلاطكم.

لقد سمعت أنكم استدعيت ذات يوم فيلسوفكم الكبير ابن طفيل الذي تعرف مؤلفاته عندنا في بيزنطة وأنكم «اشتكيتم من قلق عبارة أرسطو» كما بلغتكم منقولة في غالب الأحيان عن عبارة المترجمين... السريان وقلتم: «لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهماً جيداً لقرب مأخذها على الناس»

ولهذا فلنكي نعبر عن تقديرنا لذلك الإهتمام منكم... أهدي إليكم مخطوطا يونانياً نادراً جداً يحتوي على محاولة ألفها أرسطو بعنوان «في الروح».

ومن حسن الحظ أنه في هذه الأيام كان ابن رشد بفاس، وقد دعى هو وابن طفيل للاطلاع على المخطوط الثمين... حيث استمرت المناقشات على ضوء المشاعل حتى مطلع الفجر وعندئذ توجه أمير المؤمنين إلى ابن رشد وعهد إليه بأن يقوم بشرح جديد لأعمال أرسطو.



ابن رشد شارح أرسطو

ولعلّ من المهمّ أن نبرز هنا جانباً من الجوانب الرائعة والمثيرة كذلك في تاريخ العلاقات بين المغرب والدّول الأوروبية، ويتعلق الأمر بالمساعي الحميدة التي كان يقوم بها المغرب إما تطوّعاً منه أو استجابة لاقتراح يعرض عليه، يقوم بها لإصلاح ذات اليمين بين الدول الأوروبية بعضها ببعض سجلنا طائفةً من الحالات التي توسط فيها المغرب لإحقاق حق أو إنهاء خلاف.

وسوف أقتصر هنا على ما سجله التاريخ الدولي ممّا يتصل بالوساطة المغربية بين ملك إسبانيا وملك فرنسا عام 681 = 1282.

نحن أمام وثيقة محفوظة في الأرشيف الوطني بباريز تحت رقم 200.

وتعتبر هذه الوثيقة في منتهى الأهمية، وقد جاءت أهميتها من أنها تعتبر من أهم وأصدق الدلائل على تفاعل العلاقات المغربية الأوروبية، علاوة على أنها تدل دلالة قوية على مدى إسهام المملكة المغربية — على ذلك العهد في بسط السلام بأوروبا وفي إيجاد تفاهم صادق بين الأمم إلى جانب أنها، أي الوثيقة، تعبر عن مدى تشبث المملكة المغربية بالشرعية والأخلاق.

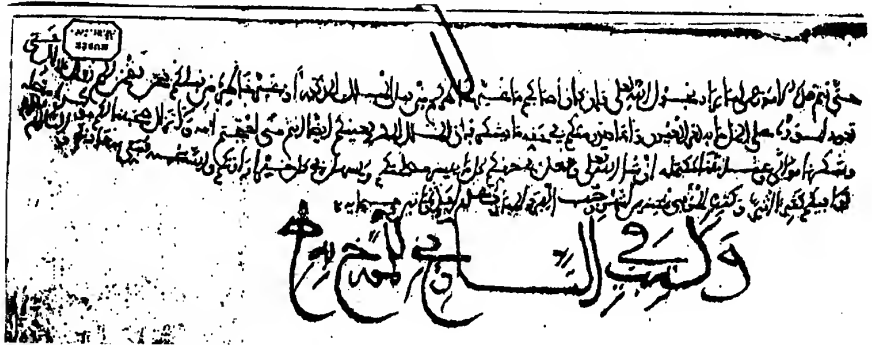
لقد حدث أن ثار الأمير دون شاناش (Don Chanche) على والده ألفونسو العاشر وآزره معظم النبلاء ! وحينئذ اتجه أبوه الملك المخلوع إلى السلطان أبي يوسف المنصور وهكذا أرسل في غرة محرم 681 = أبريل 1282 سفارة مؤلفة من عيون الأخبار إلى مراكش تحمل رسالة تطلب إلى العاهل المغربي المدد والعون ضد ولده، فاستجاب الملك لصريخ ملك إسبانيا وعبر البحر في قواته إلى الأندلس في ربيع الثاني سنة 681 = يولييه، غشت 1282 حيث هرع ألفونسو العاشر إلى لقاءه بالجزيرة الخضراء حيث قدم إليه — كرهينة — التاج الذي بقي بين يديه ! فأمدّه السلطان بمائة ألف دينار من الذهب ليستعين بها على حشد الجند.

وعن هذا التاج تحدّث المؤرخ المعروف ابن خلدون قائلاً : «وبقى التاج بيد بني مرين فخراً للاعقاب لهذا العهد...»

وفي أعقاب هذا اللقاء المغربي الإسباني بعث العاهل المغربي برسائلته التاريخية إلى فيليب لوهاردي ملك فرنسا يقترح عليه عون ألفونسو العاشر أو بالحرى الانضمام إلى الحلف المغربي الإسباني.

وقد كان مما ورد في هذا الخطاب الطويل الذي يحتفظ بنسخته الأصلية أرشيف المتحف الوطني بباريز، هذه العبارات التي لها دلالتها :

«... فإن أصابكم ما غير خاطركم من قبل الملك المذكور أو غير خاطره من قبلكم فنحن نضمن لكم زوال ذلك حتى تعود المودة على أكمل ما به تقر العيون، وإذا صدر منكم في حقّه ما يستنكر فإن الملك المكرم يعينكم أيضاً أنتم متى احتجتم إليه ولا تزال صحبتنا لكم مؤكدة متصلة...»



من رسالة بتاريخ 20 رجب 681 = 24 أكتوبر 1282 موجهة من العاهل المغربي أبي يوسف يعقوب إلى ملك فرنسا فيليب الثالث يطلب إليه أن يساعد الفونس العاشر ملك إسبانيا لصالح إقرار العدل والسلام في أوروبا وبعده ببذل المساعي الحميدة. إنها إحدى الوثائق التاريخية التي تترجم عن أصالة الدبلوماسية المغربية وعملها من أجل انسجام المجموعة الأوروبية.

والحديث عن الاتصال المغربي بالأراضي الواطئة (هولاندا) يتبدى بمساعدة المغرب لتلك الأراضي على بناء استقلالها.

وتعتبر هولاندا من الدول السباقة إلى التقرب إلى المغرب وخاصة بعد وقعة القصر الكبير (وادي المخازن) 986 = 1578 حيث نعث على عدد من الرسائل المتبادلة بين ملوك المغرب وبين قادة هولاندا.

وقد توالى الاتصال حتى بعد وفاة السلطان أحمد المنصور حيث وقفنا في الأرشيف الوطني في لاهي على طائفة مهمة من الرسائل الهامة التي نسخت بخطوط جميلة وحملت توقيعات جدّ رائعة... إن هولاندا من البلاد الأوروبية التي كان للمغرب بها سفراء مقيمون منذ ذلك التاريخ⁽⁷⁾

(7) ع. التازي: «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» ج 8، ص 273، 1988 = 1408.

الحمد لله حق حمداً وكلم الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قسماً



يعلم من هذا الكتاب الكريم أن الله وأمره أن هذا عفو ذاع جنس العلم من هذه العفو التي قد من الاستسلام بهذا العفو المذكور في هذا الكتاب لا يرد في ذلك من الصلاح والسند والبرهان للجانبين وذلك على سبيل التواضع والتأخير إن شاء الله

العفو الأول إن العلم في ذلك الأنبياء مسلمين وفكراري وأسرارهم مسلمين في ذلك وفيهم أنبياء في سلم ولا يتم ذلك على ذلك مسائل في الجانبين

العفو الثاني إذا كان لك أسارى عندك ولم يكن عندك أسارى مسلمين فغزواهم بهم إخوانك أو كان لك أسارى عندك ولم يكن عندك أسارى مسلمين فغزواهم بهم إخوانك أو كان لك أسارى عندك ولم يكن عندك أسارى مسلمين فغزواهم بهم إخوانك أو كان لك أسارى عندك ولم يكن عندك أسارى مسلمين فغزواهم بهم إخوانك

العفو الثالث عشر رأس كل سنة يكون العفو لك أسارى على الوجه المذكور وهو رأس رأس إذا كان الأسارى موجودين في الجيوش أو ما يندرج عن كل أسير على الجانب الذي لم يكن عندك أسارى ولا يغفر الأسير في الأسير من سنة وإذا كان أسير عندك حرمي التي عيشة بالسلكان يلزمه العفو على الوجه المذكور

العفو الرابع الشيخ الذي جاز مبعين سنة والتم أن مطلقاً كينها كانت كبيرة أو صغيرة لا سبيل لك حذر عليهم ولا يؤمسون

العفو الخامس انتم في الحامل للفوت وهو الفتح والشيع والتموز جميع المحبوب وأما الإعدام مثل التي في النسي والعم والعسل فليسوا في الفوت وسواء حمل الفوت من بلاد المسلمين أو من بلاد النصارى فلا يقع ذلك أحد من المسلمين ولا من النصارى لأن ذلك فيمكن أن يكون متوجهاً إلى الفوت جانحين فإذا حصل بينهم وبين ذلك الفوت هلكوا ويكون متسبباً في هلكة كما يقع في الخلفاء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في كل ذي كبد حياؤه لحي وإذا كان في كبد الفوت نال أو ملغ في التلعة والذلي وخبر من الذلي والحيية والفوت لا يقع ذلك لهم أحد في سبع وسبعين أو غير ذلك وقشيع ومائة وألف

ونحن نتحدث عن علاقات المغرب بهولندا نرى من المفيد هنا أن نشير إلى اتفاقية مغربية هولندية تحمل تاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777. والجدير بالذكر أن هذه الاتفاقية أبرم مثلها في نفس التاريخ مع دول أوروبية أخرى مثل إسبانيا والسويد.

ويتعلق الأمر بمبادرة مغربية رائعة تجلّى فيها التعاون بيننا وبين أوروبا على أوسع نطاق وبغض النظر عن سائر الاعتبارات الإقليمية أو الدينية.

إن المملكة المغربية تعتبر أن البلاد المسيحية التي توجد على الضفة الأخرى من الحق أن لاتحرم من الحبوب المغربية وخاصة في حالة الجفاف، ولذلك فإن المغرب يُحرّم تحريماً باتاً التعرض للمراكب التي تقوم بتقديم المساعدة للمتضررين، ويعلّل هذه المساعدة بأنه لا يوجد فرق بين الانسان المغربي والانسان الأوروبي وأن كل من يحمل في أحشائه كبداً فيه حرارة فإنه يحتاج للمساعدة !

وهكذا نقرأ في الفصل الخامس من الاتفاقية المغربية التي أبرمت بمكناس في التاريخ المذكور والتي لم تكن محدّدة بفترة معيّنة ولكنها كانت على سبيل الدوام والتأييد كما يقول النص :

إن المركب الحامل للقمح والشعير والرّز وجميع الحبوب سواء حمل من بلاد المسلمين أو بلاد النصرارى فلا يتعرّض له أحد من المسلمين ولا من النصرارى لأنه يمكن أن يكون متوجّهاً إلى قوم جائعين فإذا حيل بينهم وبين القوت هلكوا ويكون متسبباً في هلاك طائفة من المخلوقات وقد قال نبيّنا ﷺ : « في كل ذي كبِد حراء أجر »⁽⁸⁾.

وبالرّغم من الإحتكاكات التي عرفت العلاقات بين المغرب والبرتغال سواء على الأراضي البرتغالية أيام الوجود المغربي هناك أو على الأراضي المغربية أيام الاحتلال البرتغالي لبعض الجهات في المغرب، أقول بالرّغم من ذلك فقد عرفت

(8) يلاحظ أن الوثائق الدبلوماسية لاتخلو من استدلال بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية، والاشارة هنا إلى الحديث الذي يقول ما معناه : إن رجلاً شعر أن حيواناً يشكو العطش فقدم لذلك الحيوان ماءً فخفف عنه العطش فشكر الله له ذلك، فسأله الصحابة : هل لنا في البهائم أجر ؟ فأجابهم : « في كلّ كبِد رطبة أجر » !

العلاقات على مرّ العصور تعارفاً على الساحة سجلته طائفة من الاتفاقيات الاقتصادية والتقنية والسياسية التي ينوء بها الأرشيف الوطني في العاصمة البرتغالية.

والحديث عن بداية العلاقات بين المغرب والدانمارك حديث لا يخلو من الطرافة والمتعة... فقد كان الفضل يعود في تعرف كل على الآخر إلى حركات القرصنة التي كانت شائعة في بداية القرن الثامن عشر عندما وجدنا أن عدداً من المغاربة يصبحون في قبضة كوبنهاك، ووجدنا بالمقابل طائفة من الدانماركيين يعيشون في فاس!! هناك مثل عربي يقول: «رَبِّ نَقْمَةٍ فِي طَيْهَا نَعْمَةٌ» وها نحن نرى أنها كانت قولاً صادقةً بالنسبة لهذه العلاقات، فقد كان ذلك الحادث وراء إرسال سفير مغربي، يهودي من أصل برتغالي جوزيف بوزانكلو دي باز (J.B.DE PAZ) إلى الدانمارك حيث اختمرت فكرة إنشاء أول شركة دانماركية في المملكة المغربية منذ عام 1165 = 1751⁽⁹⁾.

ومن هنا تحركت بعثة من الملك فريدريك الخامس في اتجاه المغرب، وكانت برئاسة (لونكفيل Longuville) حيث وطئت ميناء آسفي يوم 13 يونيو 1751 ومن هنا يتبدى شريط محكم للعلاقات سجلته يوماً عن يوم الوثائق المغربية والوثائق الدانماركية على السواء.

وكان من أبرز ما قرأناه نصوص الاتفاقية الاقتصادية المؤرخة يوم 24 شعبان 1169 = 24 مايه 1756.

ومن هنا توالى تبادل السفراء بين الطرفين حيث عرفنا بتفصيل عن أسمائهم ومهامهم... وقد كان من الدبلوماسيين الدانماركيين من أصبح صديقاً مقرباً للعاهل المغربي ومن أسهموا بمجدٍّ ومصداقية في كتابة تاريخ المغرب.

* * *

Castries (L I-Col. de : Le Danimark et le Maroc 1750-1767,
Hesp. 1926 T.VI 4^e tr. p. 439)

(9)

د. التازي: «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» — المجلد التاسع 1408 = 1988، «فصل العلاقات المغربية مع الدانمارك» ص 243 — 254.

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
 أَنَا بَقَرٌ بَعْدَ أَنْ عَفَّرَ الْمَضَادَّةُ الْكَلَامَةَ وَاللَّحْظُ الثَّانِي سَيَّرَ الْإِمَامَ
 الْقَلْبِي الطَّمَامَ مَوْلَى الْعِبَادِ وَحَامِي الْبِلَادِ رَافِعَ مَنَارِ الشَّيْخَةِ النَّبَوِيَّةِ وَنَاصِبِ
 رَايَاتِ الْعُلُومِ الرَّقِيبَةِ مَكِينًا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ



نَحْمَدُكَ اللَّهُ وَأَدْعِيكَ وَخَلِّصِي صَبْحَانَ الْجَبَرِ وَكُلَّهَا مَالَهُ الْبِلَادَ الْمُغْنِيَّةَ
 بِأَجْمَعِهَا وَالتَّحْقِيقَ فِي أَفْئَالِهَا وَبِلَادَهَا مَلِكُ شَيْءٍ وَسُوسٍ وَقَدْ بَلَغَتْ
 وَدَرَجَةً وَكَأَنَّهَا وَسَّاسٌ وَمَكْنَسَةٌ وَسَلَا وَمَا عَرَفْنَا مِنْ إِبْدَالِهَا وَانْتَسَبَ
 إِلَيْهَا وَجِيءَ مِنَ الْمُنَى عَلَى حُكْمِهَا وَسَبِيحًا وَبَيْنَ السَّلَافِ
 مَحْكُومَ الْبَرِّ تَكْمَالًا وَفَوْضَلًا دُونَ جُوزِي الْقَوْلِ مَالَهُ الْغَرْبَ وَجَمِيعَ كَوْنِيَّةِهَا
 وَقَدَّحَ سَبْعِي وَفَتَحَ بِلَادَ الْخَبَشِ وَأَرَابِيَا وَبَنِي سَيْلَانَ الْهَنْدِ وَغَنِيَا
 وَالْبَلَاغِي مِنَ إِيَالَتِهِ بِوَأَسْكَنَتِي مَنْ نَابَ عَنْهُ فِي عَفْرِ الْمَضَادَّةِ الْمَرْكُورَةِ
 وَهُوَ الْفَنَمَلُ الْجَنَالُ بِمَنْ خَسِي فَوْسِمُويسَ الشَّيْبَ فِي مَكَانِ الْبَاسْطَرِ
 الْمَوْجِدِ مِنْ قِبَلِ سُلْطَانِ الْبَرِّ تَكْمَالًا لِسُوقِي فِي إِيَالَتِهِ سَيَّرَ نَحْمَدُكَ اللَّهُ
 عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَرْكِي



استقبال السفارة البلجيكية من لدن الملك محمد الرابع
3 رجب 1281 = 2 دجنبر 1864

وقد عاش المغرب مع الأيام الأولى التي ظهرت فيها بلجيكا ومن هناك كانت لنا معها علاقات تميّزت بما أبرمناه معها من اتفاقيات... وما توجه إليها أو ورد علينا منها من سفارات.

وهكذا نجد أن أول صلة رسمية للمملكة البلجيكية بالمملكة المغربية ترجع لسنة 1838 ولما يميّز على جلوس الملك ليوبولد الأول على العرش سوى بضع سنوات.

ومن هنا وصل الطرفان إلى إبرام معاهدة للتجارة والملاحة من ثلاثة فصول حصلت بلجيكا بمقتضاها على ما لم تحصل عليه معظم المعاهدات الأوروبية، وقعها عن الملك ليوبولد الأول بتاريخ 2 رجب 1278 = 4 يناير 1862 القنصل



صورة للقنصل الدانماركي هوست

بسم الله

ولا حزن ولا فخر إلا بالله

للجناب الولي سلطان من أكشنة واسر والجناب الولي سلطان أبلجنا حيث
 مرادهم به عند قسمي مكة المحنة على أن يكون خيار المحافيين موقوفين على كميني
 في الإيالاتين جعلوا فواجهم العرفيين بعض الجناب الولي سلطان من أكشنة وكان
 عتي خريفه الان في الحاج عبد الحميد العاصي والجناب الولي سلطان أبلجنا عيسى
 الكيلاني إزنيستة والوان فونده وحسن الرأيس الفد من أكشنة وم بلرأه يكتة بعد ما
 أكلها كرا حرمه عما ما سيرهما من التبعين في إقبعنا على ما سيركس

الشئ في الدول

يكون الصلح والهادنة بين إيلالة ورعية سلطان من أكشنة واسر ريسى إيلالة ورعية
 سلطان أبلجنا على الزوام

الشئ في الشكاني

النواب والغصوات والزعميان من سلطان من أكشنة واسر وخيارتهم من إكهم يكون لهم
 جميع النبعة في إيلالة سلطان أبلجنا التي كانت أو تكون في جناس المحيس ومن لدا الزوام
 والغصوات والزعميان من سلطان أبلجنا وخيارتهم من إكهم يكون لهم جميع النبعة بها
 إيلالة سلطان من أكشنة واسر التي كانت أو تكون في جناس المحيس

الشئ في الشكنا

هذه الشئ في النبعة فيكبع عليها إرشاء الله في مرقه في بيته من الجنافيين

وختم الناطق الزكوران بحجر برهمل كما بعها في كمينه الحسي سنة بالله في يوم
 في مرجع العلم الحسي عام 1278 / الموافق لتاريخ اليعرج في 4 من شهر ربيع الثاني سنة 1862



Emir de Maroc

خديمر الكفاء العام بالله الحاج عبد الرحمن بن محمد العاصي وبالله



البلجيكي إيرنيست دالون (E. DALWIN) ووقعها عن العاهل المغربي السلطان مولاي عبد الرحمان، الدبلوماسي المغربي الحاج عبد الرحمان بن محمد العاجي ومنذ إبرام هذه الاتفاقية... أصبح الطرفان يتعاونان في مختلف المجالات.

وقد وجدنا سفارة مغربية هامة في الديار البلجيكية عام $1293 = 1876$ برئاسة السفير المغربي الحاج محمد الزبدي، وقد كان من ضمن الدبلوماسيين الذين راحوا ضمن السفارة إدريس الجعايدي الذي دوّن مذكرات جيدة حول نشاط هذه البعثة... في بروكسيل حيث استقبلت السفارة من لدن الملك والمملكة... قبل أن تقوم السفارة بزيارة عدد من المنشآت والمؤسسات العمومية وغيرها.

وقد كان من الأحداث البارزة في العلاقات المغربية البلجيكية على عهد السلطان مولاي الحسن (الأول) السفارة الهامة التي وردت على مكناش بقيادة البارون إدوارد ويشال (E. Whethnal) بقصد تنشيط الحركة التجارية بين بلجيكا والمغرب والمفاوضة حول بعض المشاريع الإنشائية.



السفارة المغربية عام $1293 = 1876$ لدى الدول الأوروبية
فرنسا — بلجيكا — بريطانيا — إيطاليا.

وقد تم الاستقبال بالقصر الملكي يوم 21 يناير 1882 = 7 جمادى الأولى 1305 حيث نجد لوحةً فنيةً رائعةً لهذا المشهد الجميل بريشة الرسام البلجيكي موريس رومبيرك (M. Romberg) الذي صحب السفارة .

وجواباً على سفارة البارون ويشال بعث السلطان مولاي الحسن الأول عام 1890 إلى ليوبولد الثاني بسفارة كانت برئاسة أحمد بن المؤذن السريغيني على ما تكشف عنه الوثائق المغربية والبلجيكية كذلك.

واستمرت العلاقات بين الجانبين في طريقها نحو الازدهار والثماء.

* * *

بقي ممّن لم نذكره من تلك الدول الأوروبية ممّن يربطها بالمغرب تاريخ الأمس البعيد... بقيت جمهورية إيرلندا و الليكسامبورغ اللتان حالت أوضاعهما الداخلية الناتجة عن الأطماع الدولية فيهما، حالة دون أن تكون لهما مع المغرب صلات ملحوظة على نحو ما سجلناه مع الأمم الأخرى : ألمانيا — بلجيكا — الدانمارك — إسبانيا — فرنسا — بريطانيا العظمى — اليونان — إيطاليا — هولندا — البرتغال.

ومع كلّ ذلك نجد أن التاريخ يتحدث عن العلاقات الإنسانية التي سجلتها المذكرات الأوروبية بين المملكة المغربية وبين هاتين الدولتين.

* * *

وإذا كانت العلاقات بين المغرب وغيره من تلك الدول الأوروبية قد عرفت إبان الحماية فترة ركود عابرة، فإنها لم تلبث أن عادت إلى حالتها الأولى بعد أن استرجع المغرب استقلاله حيث وجدنا أن كل تلك الدول جميعها أصبح لها تمثيل دبلوماسي وارتبطت جميعها مع المغرب بعدة اتفاقيات ومعاهدات، وشهدت العلاقات تبادل الزيارات بين الشخصيات على أرفع مستوى.

